

المكان في شعر احمد شهاب من الهدم الى البناء

م.م. ابراهيم عبد الرحمن صالح

Ibrahim.abd.salih@aliraqia.edu.iq

الجامعة العراقية/ مركز التطوير والتعليم المستمر

الملخص

إنّ الحديث عن المكان عند احمد شهاب يبيّن لنا فاعلية التوتر العاطفي، والوجداني الذي يؤثر على مخيلة الشاعر، وينتج عن هذا التأثير أن للمكان دلالة رمزية بعد شحنه بمعان ذاتية تعبّر عن احساس الحب، والوفاء والولاء للمكان بوصفه جزءاً من احساسه ومشاعره، وإنّ المسح العام لشعر احمد شهاب يؤكد ان الذات الشاعرة بينها وبين المكان تعلّق شديد، وتوحد في ثيمة واحدة تجمع بين المكان والشاعر، اذ تتوحد الذات الشاعرة بأماكن الطفولة كالجسر القديم، والنّبي يونس، والنبي شيت ومنارة الحدياء والرشيديّة ودجلة فيولد التواصل الروحي والوجداني العميق فجذور الشاعر هي ربيبة الأماكن التي نشأ فيها فمهما سافر وطاف العالم تظل الروح مشدودة الى ذلك المكان مكان الولادة والنشأة، ورفاق المدرسة ويقوم التخيل بصنع المكان الشعري الذي يبدو فيه الزمن خالداً والناس خالدين وقد توصل البحث الى نتائج عديدة منها :

١. إنّ الماء في شعر احمد شهاب يوحي بالخصب والنماء والتجدد والمغادرة، وهو يتمنى أن تصبح الارض كلها ماء ليعمّ السلام وتقوى الأواصر بين الشعوب
 ٢. نلاحظ تأثر لغة الشاعر بالمكان الموصلية إذ تواتر مرقد النبي يونس، والنبي جرجيس، ورأس الجسر، والمنارة فغطى مساحات واسعة منه.
 ٣. يتسم المكان المائي عنده بالغربة والحزن والشتات وبذلك يكسر الشاعر أفق التوقع فمن المعتاد ان تكون الأمكنة المائية مبنوثة في الفرح والغبطة والتفاؤل .
- الكلمات المفتاحية: المكان، شعر احمد شهاب، من الهدم الى البناء.

The place in Ahmed Shihab's Poems

From demolition to construction

Assist. Lecturer Ibrahmi Abdulrahman Salih

The Iraqi University\Center of Continuous Development and Teaching

Abstract

Mentioning the place by Ahmed Shihab shows the effectiveness of the emotional stress and the place influences the poet's imagination and

from this influence a symbolic connotation results after it is charged with subjective meanings that express the feelings of love, dedication and loyalty to the place as part of the feelings and emotions. When exploring the poems of Ahmed Shihab, he (through his poems) confirms to us that a poet is tightly related to the place in one theme that brings them together as the poet conjoins with the places he experienced in his childhood like the old bridge, AlNabi Younis, AlNabi Sheet, AlHadbaa Minaret, AlRashedeya neighborhood and the Tigris and thus the deep spiritual and emotional communication arises because the roots of the poet represent the places in which he grew up and wherever he goes or travel to the whole world, his spirit remains connected tightly to the place in which he was born, grew up and in which he spent time with his school mates. Imagination creates the poetic place in which time and people seem to be immortal. The research reached to several findings, most important of which are:

1. The water in the poems of Ahmed Shihab suggests fertility, growth, renewal and departure and he wishes that the whole world becomes water so that peace prevails and bonds between peoples are grow stronger.
2. It is notice that the poet's language was deeply influenced by the Mosuli place, as the shrine of the Prophet Yunus, the Prophet Jerjees, the street of the old bridge, AlHadbaa Minaret were repeatedly mentioned and covered large areas of his poems and covered vast areas of these poems.
3. The place of the water in his poems is characterized by alienation, sadness and diaspora and thus the poet breaks the horizon of expectation and prediction as it is usual that the water places are characterized with happiness, exultation and optimism.

Keywords: The place in Ahmed Shihab's Poems ,From demolition to construction.

المقدمة

يسعى هذا البحث الى الكشف عن الجانب الجمالي للمكان في شعر احمد شهاب من خلال الأماكن التي وردت في شعره، واطهار أهمية المكان، وعلاقته بالحالة النفسية التي كان لها تأثير على منتج الشاعر، واطهار القيمة الجمالية، وفعاليتها داخل النص ، فالمكان المدروس هنا مكان تعرّض للهدم ؛ فهو يسعى ما استطاع الى البناء ، والتجاوز، والتحرر، والولادة ، وبعد التداول، والتحاور مع اساتذتنا وزملائنا قررنا دراسة المكان في شعر احمد شهاب من الهدم الى البناء فلقد تعرّض المكان الموصل الى الهدم منذ عام ٢٠١٤ على يد قوى الظلام الداعشي، فانزعت روح البناء في اهلها، وأدبائها ، فراحت القصيدة تبني المكان القديم بفعل المخيلة، وإعمال الذاكرة، ومحاولة استعادة المكان الذي اندثر، وهذا ليس جديداً على مدينة تلد كل ربيع آفاقاً من أزهار البيون "البابنج" .

إن الحديث عن المكان عند احمد شهاب يبيّن لنا فاعلية التوتر العاطفي، والوجداني الذي يؤثر على مخيلة الشاعر، وينتج عن هذا التأثير فتصبح للمكان دلالة رمزية بعد شحنه بمعان ذاتية تعبر عن أحاسيس الحبّ والوفاء، والولاء للمكان بوصفه جزءاً من احساسه ومشاعره، وإن المسح العام لشعر احمد شهاب يؤكد أن الذات الشاعرة بينها وبين المكان تعالق شديد، وتوحد في ثيمة واحدة تجمع بين المكان والشاعر، اذ تتوحد الذات الشاعرة بأماكن الطفولة كالجسر القديم ، والنبي يونس ، والنبي شيت ومنازة الحدياء ، والرشيديّة، ودجلة، فيولد التواصل الروحي، والوجداني العميق فجذور الشاعر هي ربيبة الأماكن التي نشأ فيها فمهما سافر، وطاف العالم تظل الروح مشدودة الى ذلك المكان مكان الولادة، والنشأة، ورفاق المدرسة، ويقوم التخيل بصنع المكان الشعري الذي يبدو فيه الزمن خالداً والناس خالدين .

بعد مداولات عديدة تم الاتفاق على دراسة المكان في شعر احمد شهاب من الهدم الى البناء؛ لأن المكان في شعر احمد شهاب يشكّل مكوناً فنياً مهماً، بل قد يكون ابرز المكونات، وإنّ قراءة واحدة لشعر الشاعر يمكن ان تشير إلى ثيمة المكان المنتشرة في جميع شعره ، ولأن الشاعر عانى التهجير، والبعد القسري عن المكان الأم فقد عملت مخيلة الشاعر على هذا المكان حيث نُسيّت جميع المرات، ولم تبق إلاّ العذوبة وإلاّ التواصل المثمر ، لقد تعاملت الدراسة مع النص بوصفه كلاً موحداً مستفيدة من امكانات منهج القراءة والتلقي معتمدة على الاعمال الشعرية الصادرة للشاعر، وقد استرنا بلقاءات عديدة معه لفك مغاليق بعض قصائده وقد اعتمدنا ايضا على ديوانه الشعري الاخير يدها تمطر ، اما المصادر التي افاد منها البحث فعمل اهمها ثنائية المكان والاغتراب محمد ذنون الصائغ، والمكان في الشعر العربي مقال لاعتدال عثمان والمكان في شعر طاهر زمخشري لسلمى بنت محمد رسالة ماجستير، وثنائية المدينة والريف في شعر السياب لخيرية جريو

لقد اقتضت ضرورات الدراسة تقسيم البحث على مبحثين سبقهما تمهيد واعقبهما خاتمة أما التمهيد فتكوّن من مدخل نظري المكان ومفهومه في اللغة والاصطلاح وعلاقته بالنص الأدبي ومكوناته ثم توقفنا عند سيرة مختصرة للشاعر موضوع الدراسة، لقد تناول المبحث الأول المكان الريفى اذ نلحظ نصوص الشاعر مولودة في حوض المكان الريفى مشتبكة ببساتينه وانهاره وفراشاته ؛ وبذلك تكون وحدة مسار المعنى تؤدي الى هذا المكان أما المبحث الثاني فتوقف عند المكان المائى حيث يتسم المكان المائى بعدم الاستقرار؛ ذلك ان الماء ليس شكلاً مكانياً يمكن تحديده ثم ختمنا البحث بخاتمة تناولت ابرز ما توصلنا اليه .

إنّ هذا البحث لا يدّعي أنه توصل الى نتائج حاسمة في شعر الشاعر، فلا يزال هذا الشعر قابلاً للدراسة والتأويل، والبحث والتأمل، ومازال هذا الشعر أرضاً بكرّاً قابلة للحرث والتقصي ، والاكتشاف، ومما لاشك فيه أن المكان في شعر احمد شهاب ليس هو المكان الطبيعي الجغرافي، بل مكان خُلق مرة اخرى لاشتغال المخيلة عليه ، والفضل من قبل ومن بعدُ لله، وله مسعانا ونحسب اننا اردنا الخير ومن الله التوفيق.

التمهيد

١. المكان مرتكزا انفعاليا (مهاده نظري)

ذكر ابن منظور ت (٧١١هـ) ان (المكان) هو الموضع وجمعه (أمكنة) و(اماكن) جمع فتقول العرب كن مكانك و (قم مكانك)^(١) المكان في اللغة موضع لكيئونة الشيء والمكان موضع والجمع أمكنة وأماكن^(٢) اما في الاصطلاح نجد تصور المكان كان مرتبطاً بالوجود المحسوس للأشياء في العالم فقد اخذ المكان عند القدماء طابعاً مثنولوجياً ولا توجد حلول فلسفية حول طبيعة المكان وعلاقته بالجسم والحركة والزمان^(٣)، وبذلك تكون علاقة المكان بالإنسان علاقة تأثير متبادل حين بدأ الإنسان حياته على الأرض حاول أن يجد كهفاً، كي يستقر ويتزوج، وينام وكان الكهف هو المكان الذي يتحكم بمشاعره ولولاه ما أمكنه التعرف على الأشياء الخارجية والداخلية والنفسية^(٤) وقد وقف عند المكان فلاسفة كثيرون حيث يرى افلاطون أنّ المكان لا يعدُّ أن يكون المسافة الممتدة والحاوية العامة للكائنات المُحسنة ، وطبيعة المكان عند افلاطون لا تقبل الفساد ، ويوفّر مقاما لكل الكائنات ذات الصيرورة ، والحدوث اي أنه يوفّر مقاماً للعناصر الأربعة (الماء والهواء والتراب والنار)^(٥) ؛ وبذلك يصير حضور المكان في النص الشعري مرتكزاً

^١ - ينظر لسان العرب ، ابن منظور : مادة (مكن) : ٩٩٥

^٢ - ينظر كتاب العين الخليل بن احمد الفراهيدي دار احياء التراث لبنان ط ١ ٢٠٠٥ مادة مكنة

^٣ - ينظر المكان في فلسفة ابن سينا: حسن مجيد العبيدي دار الشؤون الثقافية بغداد ط ١ ١٩٨٧ : ٧٧

^٤ - ثنائية المكان والاعتراب : محمد دنون الصائغ دار الثقافة والاعلام الشارقة ط ١ ٢٠٠٤ : ٧٧

^٥ - م. ن: ٧٧

نفسياً للشاعر لأنه يثير الكثير من الاحاسيس والانفعالات، من هنا اصبح المكان عنصراً سردياً لا يمكن الاستغناء عنه بأي شكل من الأشكال، اذن يمكن القول أن المكان في الأدب مكان اثير؛ لأنه يبعث فينا الوجدان وتحمل الاحزان؛ فهو بالنسبة للإنسان كالجسد الواحد ،وقد احتل المكان في القصيدة العربية الحديثه حيزاً واسعاً. من خلال التجربة الذاتية للشاعر وكان ذكر المكان بداية لذكر مرحله شعورية تسجل احاسيس الشاعر، وعواطفه ؛ فإن اختلاف الصورة للمكان في الشعر العربي هو باختلاف الزمان وثقافته الشاعر، وتبعاً للظروف المحيطه به؛ ولذلك فإننا عندما نتكلم عن المكان في الشعر فهو يختلف من شاعر إلى آخر بحسب الظروف والاحاسيس والمشاهد التي تحيط به ،وكان الكهف في البداية بيت الانسان الأول وتحول الكهف الى بيت ، وكانت الأرض مشاع فلم تظهر بعد الملكية الفردية فلم يعرف الإنسان الاغتراب آن ذاك^(١) وقد لعبت فكرة المكان دوراً اساساً في الفكر الانساني منذ اقدم العصور الى اليوم، وقد تطورت هذه الفكرة مع تطور الفكر البشري البشري، وصار الانسان يغترب كلما أحس بالمكان يضيق وإن يبحث الكائن عن المكان الآمن الحميم فانه يبحث عن الحرية ، وبذلك يفسد المكان اذا تعرض الانسان الى السجن أو الحصار أو المطاردة أما المكان في الشعر فليس مكاناً جامداً انه مكان يعيش في مخيلة الشاعر، ويصعبه اينما حل او ارتحل مثلما صاحب المكان البصري سعدي يوسف، والمكان الدمشقي نزار قباني والمكان الجيكوري السياب أي أن المكان الشعري يصوغه التخيل، ويشغل عليه حتى يحيله فردوساً مفقوداً والمكان عند احمد شهاب لا تحده حدود ويرتبط بعموم تجربته الشعرية والإنسانية.

٢. احمد شهاب: حياة شاعر

ولد احمد شهاب احمد ابراهيم الزبيدي في الأول من كانون الثاني ١٩٦٧ في الرشيدية شمال غرب الموصل ، والرشيدية مدينة تقع على ضفاف دجلة تبعد ثمانى كيلو مترات عن مدينة الموصل تجمع بين القرية والمدينة يعمل بعض اهلها في الزراعة والبعض الآخر موظفون لدى الدولة، وما بين ١٩٦٧ و ٢٠٢٢ شهد العراق احداثاً كبيرة منها حرب الشمال وحرب ايران وحرب الخليج الاولى والثانية كان العراق فيها قد تحمل وزر الدفاع عن وجوده، ممّا ادى الى الفقر والتأخر والبطالة، وكانت اسرة الشاعرة من الأسر المتوسطة الحال ، فما أن شبّ الفتى عن الطوق حتى وجد نفسه في مواقع العمل، ينهض صباحاً تاركاً عذوبة النوم، وقد كان يعمل في ايام العطل ايضاً ، سنين طويلة من البرد واللوحة والتطلع الى مستقبل آخر يحلم فيه الفتى ما كان يحلم بسيارة أو بيت كان يحلم أن تمهله الحياة ساعات قليلة لكي يكتب قصيدة ، ففي عام ١٩٨٥ اعطوه اهله خمسة دنانير ليشترى ثياباً فاشترى بدلها ديوان شعر؛ ليعود الى البيت مشياً

^١ - ينظر المكان في شعر الحرب ، محمد صادق جمعة رسالة ماجستير باشراف د. عبد الستار عبد الله كلية

على الأقدام ذلك أنه لم يبق له اجرة السيارة التي توصله الى بيته، والحياة لا تهمل إلا الذين يهتمونها لقد امن الفتى بهذه المقولة، وراح يصارع امواج الحياة بصيفها الحار وشتائها البارد وقد اكمل الدراسة الاعدادية في الرشيدية وانتفى الى جامعة الموصل طالباً في المرحلة الأولى في قسم اللغة العربية في جامعة الموصل عام ١٩٨٧، وهذا الزمن هو نهاية حرب ايران او الحرب على وشك النهاية، فانفتح افق جديد للحرية والابداع فكانت الجامعة هي قناة هذا الافق، فراح الفتى يقع في حبّ الكثيرات ويجرب الاكتواء واللوعة وفي الجامعة اكتشف المرأة جسداً وروحاً وراح يقرأ الاخطل الصغير والياس ابا شبكة وسعيد عقل وبودلير وحسين مردان ومعظم الشعراء الحسينيين، وقرأ رواية النوارس لريدشارد باخ غدت في الفتى رغبة التمرد والتطلع الى عالم اكثر حرية وقد انتهت المرحلة الوردية في الجامعة ليعمل الفتى بعد ذلك في التعليم ففي ١-٢-١٩٩٤ عين مدرسا في تربية الموصل فتوفر وقت اطول للقراءة والوقوف طويلا على تجربة السياب ونازك وبلند الحيدري ونزار قباني ومحمود درويش وسميح القاسم وانسي الحاج وادونيس وقد تعلم من ادونيس القراءة المتأنية والصبر وعدم الاستعجال وفي عام ٢٠١٠ انتقل الى عمان العاصمة الأردنية لإنجاز اطروحة الدكتوراه فسكن حي الصويفية بعمان وصار يلتقي رفيق طفولته الشاعر فارس مطر وقد طال السهر مع فارس وطال الحوار حول القصيدة الشعر والقصيدة اللاشعر وتبلورت افكار جديدة حول تحديث القصيدة .وفي عام ٢٠١٤ نزح من الموصل الى بغداد بسبب حرب داعش وفي بغداد لم يعد الفتى هجرته مصيبة او كارثة بل اندمج بالمجتمع البغدادي واقام اماسي شعرية في الاعظمية وابي نواس دافع فيها عن قضية الموصل في وقت راح الكثير يختفي وراء الجدران راجين السلامة ، ومضت سبعة اعوام من الحزن والشوق الى الموصل وقد انجز الفتى في بغداد دواوينه الثلاثة : شجر موصل على طوفان الرماد و التوكؤ على براءة الغروب ومناقب احمديّة على دفّ ساهريّ ، كذلك أصدر اعماله الشعرية بجزأين عن دار نشر أوائل في بغداد، وفي بغداد ايضا اسس في ٢٢-٢-٢٠٢٠ اول صالون أدبي بعد أن غاب زمان الصالونات، وازدادت صلة الفتى بشارع المتنبي ؛ اذ صار صديقه الصدوق يتردد عليه في الأسبوع مرتين والمتنبي بحر من المعرفة المتنوعة في كل جمعة تنزل الى الشارع مئات الكتب والاف الامواج المتلاطمة من الفكر الانساني وفي كل اسبوع صار يتعلم شيئا جديدا فيزداد قلقه ، وتتسع تحولاته ويكبر السؤال الدائم ما الشعر؟ وهل الذي يكتبه شعر ؟ ما الحداثة ومتى تكون القصيدة حديثة وما علاقة الحداثة بالإيمان ؟ الحداثة تعني الشك والتحول والهدم ، والايمان يعني الثبوت ، اسئلة كثيرة كانت تشغل بال الفتى في رحلة الشعر الطويلة :^(١)

^١ - ينظر كمن يحوك ظلالاً للظيرة سيرة مبكرة ، احمد شهاب ،دار تموز، دمشق نط ١ ٢٠١٧ : ٨
كما أجرى الباحث حوارات مع الشاعر دارت حو سيرته الذاتية بتاريخ ١_ ١٠ - ٢٠٢٠ و ٥-٩ - ٢٠٢٤

طال دربي وانتهى زادي له ومضى عمري على ظهر قصيدة^(١)

مؤلفاته :

١. أعماله الشعرية :
١. شجرٌ موصلٍ على طوفان الرماد : دار تموز السورية عام ٢٠١٨
٢. التوكؤ على براءة الغروب : عن دار كنعان دمشق ط ١ ، ٢٠٢٠
٣. أنثى يسعى المعنى اليها، دار ازمنة عمان ٢٠١١ شعر
٤. دفؤك يلتقت البرد اليه ، دار الحضارة القاهرة ، ٢٠١٠
٥. قال انتظرني بجفرا ، دارتموز دمشق ط ١ ، ٢٠١٣
٦. أحبك والرصاص يهبّ على ايائل قلبي، دار الرازي عمّان ط ١ ، ٢٠١٠
٧. انت نسياني الذي أحبّه ، دار أوائل بغداد ط ١ ، ٢٠٢١
٨. مناقبٌ أحمديّة على دفّ ساهريّ دار اوائل بغداد ط ١ ، ٢٠٢٢
٩. يذُها ثُمطر ، دار اوائل بغداد ٢٠٢٣
١٠. الأعمال الشعرية الكاملة الجزء الأول دار تموز في دمشق ط ١ ، ٢٠١٥
١١. الأعمال الشعرية الكاملة الجزء الثاني دار أوائل بغداد ط ١ ، ٢٠٢١
٢. أعماله النقدية :
١. تحليل الخطاب النقدي المغامر، عالم الكتب الحديث ، اربد الاردن، ط ١ ، ٢٠١٥
٢. فضاء النص الشعري ، دراسة في شعر ذنون الاطرقجي ، دار تموز دمشق ط ١ ، ٢٠١٤
٣. أسطرة المهمش في الشعر العربي الحديث دار تموز دمشق ط ١ ، ٢٠١٩
٤. خطاب المشهد السيريّ دار كنعان دمشق ط ١ ، ٢٠٢٠
٥. حضور الموت وايقاع الغياب في شعر موسى حوامدة دار كنعان دمشق ط ١ ، ٢٠٢١
٦. كمن يحوك ظلالاً للظهيرة دار تموز دمشق ط ١ ، ٢٠١٧
٧. أحلام حارس الهواء دار تموز دمشق ط ١ ، ٢٠١٤
٨. فاعلية الخطاب الأنثوي ، في شعر أطياف رشيد ، مخطوط

المبحث الأول

المكان الريفي

أثرت عوامل عديدة في نظرة الشاعر العراقي للمكان الريفي، وعمق المعاناة والظروف النفسية التي أثرت في تكوين شخصيته تداخلت في تشكيل الصورة المكانية الريفية وتلوينها، ويصف الرصافي مشاكل العراق الاجتماعية، ومن أهمها مشكلة الفقر، فقد صور الفقير الجائع

^١ - ديوان عمر ابو ريشة دار العودة بيروت ط ١ ١٩٧١ : ٢٠٠١

في قصيد (الفقر والسقام) ^(١)، إشارة الى هذه المشكلة الاجتماعية بقوله: ((إن مشاهدة البؤس من اشد الدواعي عندي الى نظم الشعر)) ((كما صور الجواهري حالة المكان الريفي وتحديدًا حالة الفلاح وما يعانيه من ظلم في قصائد عديدة ، مصورا حالته المتردية وكوخه المظلم)) ^(٢)، لقد ظهر المكان الريفي في قصائد الشعر الحر، وصور المكان وما يحتويه سواء ونقل صورته الفلاح او المكان الذي يقصده الشاعر، فقد اتجه اكثر الشعراء الى تصوير المكان الريفي وما كان يعانيه الفلاح من ظلم الاقطاع وسوء المعيشة، ويمكن الاشارة الى ذلك بقصيدة (القصر والكوخ) لنازك الملائكة، وسوق القرية والقرية الملعونة، والحديقة المهجورة لعبد الوهاب البياتي .
مثل المكان الريفي في الشعر العراقي المكان الخصب الذي يؤثر في الانسان، ويشده الى الأرض؛ لذلك تمتاز القرى العراقية بامتداد حقولها وببساط ابنتها التي تعكس حياة اصحابها، ولا بد من الاشارة الى دور اللغة ومعطياتها الشعرية والجمالية على المكان؛ لأن المكان في الشعر يتشكل عن طريق اللغة التي تمتلك بدورها طبيعة مزدوجة لكن المكان الشعري يتجاوز قشرة الواقع الى ما قد يتناقض مع هذا الواقع، فالمكان يحمل القيمة الشعرية ؛ بل إن الشاعر هو من ينسج المكان شعرياً، فتلتقي حدود الواقع مع حدود الخيال ^(٣)

بإمكان المتلقي لقصائد احمد شهاب أن يقبض على المكان الريفي ببسر اذ لا تخلو قصيدة من قصائده من هذا الفضاء المكتظ بالريف :

حين اختفى وجهك المغسول بشمس نينوى

وبساتينها التي تسلفت اصابعي

ضاع نصف قلبي ^(٤)

البستان المكان الأليف المحاط بعبق الأشجار وزقزقة العصافير يظل يطارد الذات الشاعرة اينما حلت، البساتين تعبق في كل مكان في ثياب الشاعر وفي سريريه وفي مزهريات بيته وفي قصائده، وهي ولادة مكان تتجدد باستمرار، فالمكان الريفي لا يلد مرة واحدة بل مرات عديدة :

ولست أبرر انكساري امام زهرة البيبون

انما كانت ضلوعي تعصف بها عيناك الموصليتان ^(٥)

تتكسر الذات الشاعرة امام المكان الريفي (زهرة البيبون) مما يؤدي الى احتدام امواج النص لترسم خفايا الأشواق واسرار الحنين :

^١ - ديوان معروف الرصافي : معروف الرصافي الدار العربية للموسوعات ط١ بيروت : ٧٨

^٢ - فن الوصف وتطوره في الشعر العربي الحديث ، محمد حسن على دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ط١ : ٢٥٠

^٣ - المكان في شعر طاهر زمخشري ، سلمى بنت محمد رسالة ماجستير جامعة الملك بن عبد العزيز كلية الاداب والعلوم الانسانية المملكة العربية السعودية ٢٠٠٨ : ٢١

^٤ - الاعمال الكاملة : احمد شهاب دار تموز دمشق ط١ ٢٠١٦ : ٧٢

^٥ - م، ن : ٧٢

لم اقل لأحد ان عينين حمامتين

تركنا الكهوف البعيدة

ونامتا فيّ حتى الصباح ^(١)

تحاول الذات الشاعرة أن تستنفر المكان الريفي إذ يتحول الى مكان معادي فتهجره المرأة (الحمامة) لتنام في الشاعر. وتسكن في المكان الحميم داخل الشاعر ويبدوا ان الاماكن تكون حميمه ومعاديه حسب الحالة النفسية التي تعيشها الذات الشاعرة ك :

حين اختفى وجهك المغسول بمياه عيون سنجار

لم اقل اني انهزمت

لم اقل اني انكسرت ^(٢)

عيون سنجار التي تهب الحياة، والقوة والنماء مكان يحتشد فيه الريفي ، وهي بلا شك مكان ريفي، فالعيون المائية لا تظهر في المدينة بقدر ما تظهر في الريف والذات الشاعرة تشبه وجه الحبيبة ؛ لتزداد عفافاً وعذوبة وبياضاً ورقة، والذات الشاعرة بدون عيون الحبيبة، وهي المكان الآخر المقارب للمكان الريفي تبدو يتيمة بل فاقدة كل شيء :

لكن بعد ساعة من غيابك

شعرتُ أني يتيم ^(٣)

والمكان الريفي عادةً يكون اليقاً يلجأ اليه الانسان في الازمات يميل اليه، ويحتمي به هارباً من المكان المدني الغارق في الشرود، فحيث تكون الغايات والسواقي والعرازيل ، والاكوخ يكون الأمان والسلام والمحبة والتطلع الى مستقبل اجمل وانبل .:

رسمت عذابي قمحاً

رسمتُ الحروف الرقيقة ^(٤)

القمح يخرق النظام المنطق عليه في الدلالة فحين يحول الشاعر عذابه وحزنه الى قمح، فيصير القمح خلاصاً، ومأوى ومرجع وملاذاً وناراً توقد فوق جبال الثلج الريف اوجدته الحضارة الانسانية ، والريف وجد قبل المدينة ، ولقد انتشرت الشرور في المدينة و غابت التقاليد السامية

^١ - م، ن ٧٣

^٢ - الأعمال الشعرية : ٧٤

^٣ - الأعمال الشعرية : ٧٤

^٤ - م. ن : ٨٢

بينما حافظ الريف على التقاليد^(١) وقد يفضل الانسان العيش في القرية بعيد عن المدينة التي يسود فيها القتل والظلم وقد يكون الزمن في القرية اهدأ و اهنأ للشاعر على وجه التحديد :

هناك اتجاه يؤدي طوال حياتي اليك

هناك غدير يشفّ ليشرح هذا البياض يمر

ليحصى بياض يديك^(٢)

الغدير المكان الريفي المائي الآمن الذي يشفّ ليعكس بياض حبيبة الشاعر او بياض يديها..

المكان الذي تفضله الذات الشاعرة وتأويه اليه هو يد المرأة المحبوبة

المبحث الثاني

المكان المائي

يتسم الماء بالتقلب وعدم الاستقرار ذلك لان الماء ليس شكلا مكانيا يمكن تحديده فهو مرة سائل ومرة ثلج ومرة بخار ومرة غدير ومرة بحرا وهكذا تتعدد اشكاله ، وعندما تدخل المفردة المائية في التركيب الشعري يشتغل عليها الخيال فتتحول الى مكان مائي يكون الماء هو الفاعل فيها والماء له القدرة ان يبعث الحياة في الاشياء لقد عرف الشاعر احمد شهاب كيف يجعل المفردة المائية نسقا يجري في جسد القصيدة فكان ذلك في قصيدة يدها تمطر اذ تتحول يد المرأة الى مكان مائي موسوم بالعدوبة والخصوبة والنماء فهي يد الخير واليؤمن محتشدة بأفق اخضر تبنته الذات الشاعرة:

يُدها تمطر

جزرُ في عينها تصيح

يدها موسيقى ملموسة

فرح يأتي

لكن العمر الشحيح^(٣)

الجملة يدها تمطر تتألف من مبتدأ، وخبر فاليد مكان مائي يأخذ دلالته من الفعل المضارع تمطر يجاوره شبه الجملة في عينيها وهو مكان مائي اخر يلمح الى هذه الجزر تدعو الى الفتنة والعدوبة والجمال فهي جزر تتكلم وتدلي وتصيح وكأنها تشي بفضل هذه اليد التي تمطر من فوق اماكن واسعة لتميل هذه الاماكن الى موسيقى ليست عادية كونها ملموسة فالموسيقى مسموعة لكن الشاعر اراد ان يجعلها ملموسة ليمنحها طاقة شعرية جديدة

^١ - ثنائية المدينة والريف في شعر بدر شاكر السياب خيرية جريو جامعة جيلالي ليايس / سيدي بالعباس /

الجزائر : ٢٥

^٢ - يدها تمطر : احمد شهاب ، دار اواهل بغداد ط ١ ، ٢٠٢٢ : ١٥

^٣ - يدها تمطر : احمد شهاب ، دار اواهل ، بغداد ، ط ١ ، ٢٠٢٢ : ٤٥

في قصيدة (وجهك كان صديقي) يتحوّل وجه الفتاة المحبوبة الى مكان مائي يركض في أوردّة الشاعر :

وجهك ماءً يركض في اورتي
يلتف على نبض القلب كأشجار اللبلاب
وجهك طيرٌ ابيض حطّ فوق كنيسة تلكيف
وجهك عصفورا دوريّ
عشعش في سقف البيت وفي ظل الاهداب ^(١)

وبذلك يكون المكان المائي في شعر احمد شهاب يوحى بدلالة الخصب والصحو والنماء والقداسة إلى درجة يحول المكان المائي الى رمز يوحى بالرغبة في التغيير .
وفي قصيدة كمان عراقي على نهر العاصي يصير المكان اليفا محبوبا حميما مستقرا مفتوحا على الجمال قادرا على النماء و العطاء :
ما عدت أفرق بين العاصي و بين عيونك
بين الشجر الملتف على المقهى في الليل
وبين حصارك يسرق قلبي
قلت لمن جلست قربي في ذاك المقهى
الليلي على نهر العاصي ^(٢)

يحاوّر المكان المائي الاليف وجه الفتاة المكان الاليف الاخر وبذلك تنتشر الالفه بالمكان وتسود المحبة والسكون والانات مما يلح ان الذات الشاعر قد ارتاحت للمكان و فوضته لكي يحيطها بالنعيم و الجمال و القدرة على التآلف فان المكان المائي يحاصر قلب الشاعر و الفتاة محبوبة تشبه فتاة اخرى استيقظت من اوراق الذاكر. وبذلك يكون المكان المائي وحث الذات الشاعرة على التذكر و العودة و استرداد الذكريات لحب قديم اعادته وجه تلك الفتاة التي تطل على المكان المائي الاليف المنبعث من نهر العاصي وثمّ مكان مائي اخر اليف (الغيم) الذي يظل المكان المحمل بالمطر فهو مكان ليس عاديا بل يحاول ان يخلد اسمي المحبوبين
وفي قصيدة صوت هارب يتجلى المكان المائي موسوماً بالحزن والغربة والشتات إذ يجف ماء الفرات وترحل سحب الخير والنعمة عن وادي الرافدين نتيجة الحروب والموت الذي يخيم على المكان المائي ويبدوا المكان عدائياً جافاً فارغاً من الألف والزهو والتمكن والثبات :
هل يابس ماء الفرات تحبسه
وتودّ في ماء المجاعة تنقّع

^١ - يدها تمطر : ٥٩

^٢ - الاعمال الشعرية : ١٦٦

سميت صمتك وردة تتوجع

اتراك من ألم الفرات موقع^(١)

الألم المنتشر على ضفاف الفرات صورته استعارية تلمح الى المكان المحفوف بالحزن؛ ليصير المكان المائي هنا بديلاً عن الوطن المحاصر باليابسة، والصحاري والرمل، والمكان المائي الفرات يبدو محاصراً بالحزن من أيام بعيدة موعلة بالتأريخ كأيام كربلاء والطف وغيرها من الاحزان التي احاطت بالأمة، ويظهر المكان المائي ويأخذ اشكال جديدة على شكل فاكهة العنب في قصيدة "طاووسة" :

أشكر اشجار العنب الصيفي حين تدلت فوق ثيابك تلك الشفافة^(٢)

فالماء داخل العنب يشكّل مكاناً مائياً يستدرج الشاعر؛ كي يلتقي أنثاه بأثوابها الشفافة والعنب اذ يتدلى فوق حساء الشاعر؛ فكي يحميها من الشمس والحر، ويسكنها في الظل والرطوبة، وبذلك تقدم الذات الشاعرة امتنانها للمكان المائي الأليف الذي احاطها بكل هذه النعم، ويظهر المكان المائي من القصيدة نفسها على شكل دموع :

كنت احاول لمّ دموعي وأتي اليك

يا آخر طاووس ينقر من شرشف ليلي

ينقر حنطة عمري ثم ينام^(٣)

وبذلك يكون المكان المائي في شعر احمد شهاب أ خذ اشكالاً مختلفة كالبحر، والنهر والينبوع والساقية واخذ ايضا شكل الغيمة ولم يكتفِ الشاعر بذلك، بل جعل الفواكه حاضنة للمكان المائي كالشمس، والتوت، والسفرجل؛ ولأن الشاعر ابن بيئة مائية؛ فقد ولد ونشأ قرب دجلة في الرشيدية ثمان كيلو مترات شمال غرب الموصل وتحيط هذه المدينة الاشجار المثمرة، والأراضي الزراعية الواسعة صار الماء ثيمة واسعة الانتشار في شعره

الخاتمة والنتائج

بعد أن انتهينا من دراسة المكان في شعر أحمد شهاب توصلنا الى نتائج عديدة نوجزها فيما يأتي:

١. إن الماء في شعر احمد شهاب يوحى بالخصب والنماء والتجدد والمغادرة وهو يتمنى ان تصبح الارض كلها ماء ليعم السلام وتقوى الأواصر بين الشعوب
٢. نلاحظ تأثر لغة الشاعر بالمكان الموصلية اذ تواتر مرقد النبي يونس والنبي جرجيس ورأس الجسر والمنارة وغطى مساحات واسعة منه.

^١ - الاعمال الشعرية : ٢٠٥

^٢ - انثى يسعى المعنى بها ، احمد شهاب ، دار ازمنة، عمان ، ط١ ، ٢٠١١ : ٩٠

^٣ - م. ن ٩٣:

٣. يتسم المكان المائي عنده بالغربة والحزن والشتات وبذلك يكسر الشاعر افق التوقع فمن المعتاد ان تكون الامكنة المائية مبنوثة في الفرح والغبطة والتفاؤل .
٤. المكان المائي في شعر احمد شهاب يوحي بدلالة الخصب والصحو والنماء والقداسة الى درجةٍ يحول المكان المائي الى رمز يوحي بالرغبة في التغيير
٥. بإمكان المتلقي لقصائد احمد شهاب أن يقبض على المكان الريفي ببسر اذ لا تخلو قصيدة من قصائده من هذا الفضاء المكتظ بالريف كأماكن البئر والينبوع وأشجار التوت والسواقي والبرك الصغيرة والدروب ورفوف طائر القطا والحصاد والمناجل واعشاش الطيور .
٦. ان الاماكن تكون حميمه أو معادية حسب الحالة النفسية التي تعيشها الذات الشاعرة.
٧. في أغلب شعر الشاعر تتحول اجزاء جسم المرأة الى اماكن اليفة تأنس بها الذات الشاعرة كاليد والعين والوجه والثوب .
٨. يكشف شعر احمد شهاب عن العلاقة بين المكان والمرأة، فكلاهما حميم وآمن ومزدهي ومشحون بالجمال
٩. إن الأمكنة في شعر احمد شهاب لا تحدّها حدود فبيوت الناس والمرأة والريف والبحر والنهر والأشجار كلها اماكن وهو في مجمله شعر مكان نلّمح ذلك في عناوين قصائده (في الرشيدية) و(كمان على نهر العاصي) و(رشيدي يبحث عن الرشيدية) .

المصادر والمراجع

● الكتب :

١. ينظر لسان العرب ، ابن منظور : مادة (مكن)
٢. ينظر كتاب العين الخليل بن احمد الفراهيدي دار احياء التراث لبنان ط ١ ٢٠٠٥ مادة مكنة
٣. ينظر المكان في فلسفة ابن سينا: حسن مجيد العبيدي دار الشؤون الثقافية بغداد ط ١ ١٩٨٧
٤. ثنائية المكان والاغتراب : محمد ذنون الصائغ دار الثقافة والاعلام الشارقة ط ١ ٢٠٠٤
٥. فن الوصف وتطوره في الشعر العربي الحديث ، محمد حسن علي : ٢٥٠
٦. المكان في شعر طاهر زمخشري ، سلمى بنت محمد ،رسالة ماجستير جامعة الملك بن عبد العزيز كلية الآداب والعلوم الانسانية ، المملكة العربية السعودية ٢٠٠٨
٧. الأعمال الكاملة : احمد شهاب ، دار تموز دمشق ط ١ ٢٠١٦
٨. انثى يسعى المعنى النها ، احمد شهاب ، دار ازمنة، عمان ، ط ١ ، ٢٠١١
٩. يدها تمطر ، احمد شهاب ، دار اوائل ، بغداد ، ط ١ ، ٢٠
١٠. ديوان عمر ابو ريشة ،دار العودة بيروت، ط ١، ١٩٧١

● الرسائل والأطاريح الجامعية:

١. المكان في شعر طاهر زمخشري ، سلمى بنت محمد ،رسالة ماجستير، جامعة الملك بن عبد العزيز كلية الآداب والعلوم الانسانية ، المملكة العربية السعودية ٢٠٠٨
٢. ينظر المكان في شعر الحرب ، محمد صادق جمعة رسالة ماجستير بإشراف د. عبد الستار عبد الله كلية التربية جامعة الموصل ٢٠٠٥

● الحوارات:

١. حوار أجراه الباحث مع الشاعر احمد شهاب ١-١٠-٢٠٢٠.
٢. حوار أجراه الباحث مع الشاعر احمد شهاب ٥-٩-٢٠٢٣.